



كلمات نورانية تفوّه بها المهاجر الشهيد: سيف الله الشيشاني قائد عملية تحرير سجناً حلب، تبيّن عن صدق منطقه، وطهارة نيته، ونقاوة سريرته... كلمات قالها وهو متوجّه صوب هدفه الواضح "نحن لم نأت إلى الشام لنبني إمارات قوقازية، أتينا لرفع الظلم عن أهل الشام"، ويا للبون الهائل، والفرق الشاسع بينه وبين منتسبي دولة العراق والشام (داعش) الذين أوقعوا أشد الظلم والبطش والتقطيل والتنكيل والإرهاب بكل من يخالف طريقهم الأعوج...،

وهذا هو الصدق الذي نعت الله به الأنصار {وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ} [سورة الحشر:8] أتينا لرفع الظلم عن أهل الشام... لا لإيقاع داعش الظلم وتكريسه كفعل سفاح الشام أو أشد.. {مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ} [سورة الأحزاب:23].
وكانني وأنا أرى صورته وهو يحيث الخطى لتحرير السجناء أنظر إلى عمير بن الحمام رضي الله عنه يركض وهو يرتجز:

ركضاً إلى الله بغير زاد إلا التقى وعمل المعاد
والصبر في الله على الجهاد فكل زاد عرضة النفاد
غير التقى والبر والرشاد

أو كأنه شهيد القرن العشرين سيد رحمه الله يصدق:

لعمرك إني أرى مصرعي ولكن أغذُّ إليه الخطا
لعمرك هذا ممات الرجال فمن رام موتاً شريفاً فذا

مخاطرة وانغمار:

مخاطرة لا تهور، وانغمار لا انتحار، واقتحام مزلزل لا اندحار، له نسب قريب متصل بنسب الصحابة، وحبل ممدود مربوط بهم أصلّها العز بن عبد السلام قاعدة لا لبس فيها، فقال: والمخاطرة بالنفوس مشروعة في إعزاز الدين، ولذلك يجوز للبطل

من المسلمين أن ينغممر في صفواف المشركين، ومن قال بأن التغريب بالنفوس لا يجوز فقد بعد عن الحق ونأى عن الصواب، وعلى الجملة فمن آثر الله على نفسه آثره الله.

وهذه القاعدة مقتبسة من هدي الرسول الأعظم صلى الله عليه وسلم ففي مسند أحمد بن حنبل عن نعيم بن همار رضي الله عنه أن رجلاً سأله النبي صلى الله عليه وسلم: أي الشهداء أفضل؟ قال: ((الذين إن يلقوا في الصف لا يلتفتون وجوههم حتى يقتلوا، أولئك ينطلقون في الغرف العلى من الجنة، ويضحك إليهم ربهم، وإذا ضحك ربك إلى عبد في الدنيا فلا حساب عليه)).

وكذا كان المتطلعون للقرب من الله، فقد كان نور الدين الشهيد يقتحم بنفسه صفواف الأعداء حتى أشفق عليه الفقيه الشافعي قطب الدين النيسابوري قائلاً له: بالله يا مولانا السلطان لا تخاطر بنفسك، فإنك لو قُتلت قُتل جميع من معك، وأخذت البلاد، وفسد حال المسلمين، فقال له: اسكت يا قطب الدين، فإن قولك إساءة أدب على الله، ومن هو محمود؟ من كان يحفظ الدين والبلاد قبله غير الله الذي لا إله إلا هو؟

وهذه المخاطرة مشروعة إن كان يعلم المنغمض والمقتحم في العدو أنه يوقع النكارة فيهم بقتل أو جرح أو هزيمة أو تجريء المسلمين عليهم، أو إضعاف نفوسهم، أما إذا كان مجرد تهور طائش فهو من نوع لاسيما إن ترتب على ذلك وهن المسلمين. رحمك الله يا سيف الدين الشيشاني، وفرج ونفس كربك يوم القيمة، كما نفست وفرجت باقتحامك كرب المساسجين، ورفع ذكرك في الدنيا والآخرة، فقد نلت الحياة عند ربك ترد أنها الجنة تأكل من ثمارها وتشرب من مياهها

يا شهيداً رفع الله به جبهة الحق على طول المدى
سوف تبقى في الحنايا علماء هادياً للركب رمزاً للفدى
ما نسينا أنت قد علمتنا بسمة المؤمن في وجه الردى

{وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَن يُضْلَلُ أَعْمَالَهُمْ * سَيَهْدِهِمْ وَيُصْلِحُ بَأْلَهُمْ * وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَفَهَا لَهُمْ} [سورة محمد: 4-6].

المصادر: